الرسالة

(١ كور ٩: ٢-١٢)

يا إخوةُ إنَّ خاتمَ رسالتي هو أنتم في الرب* وهذا هو احتجاجي عندَ الذينَ يفحصونني* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نأكلَ ونشرَب* ألعلَّنا لا سلطانَ لنا أن نجولَ بامرأةٍ أختٍ كسائرِ الرسلِ وإخوةِ الربِّ وصفا* أم أنا وبرنابا وحدنا لا سلطانَ لنا أن لا نشتغل* من يتجنَّدُ قطُّ والنفقةُ على نفسه* مَن يغرسُ كرماً ولا يأكلُ من ثمرهِ. أو مَن يرعى قطيعاً ولا يأكلُ من لبن القطيع* ألعلّي أتكلَّم بهذا بحسبِ البشريَّة أم ليسَ الناموسُ أيضاً يقولُ هذا* فإنَّهُ قد كُتب في ناموسِ موسى لا تكُمَّ ثوراً دارساً. ألعلَّ اللهَ تُهمُّهُ الثيران* أم قالَ ذلكَ من أجلِنا لا محالة. بل إنَّما كُتبَ من أجلنا. لأنَّهُ ينبغي للحارثِ أن يحرُثَ على الرجاءِ وللدارسِ على الرجاءِ أن يكونَ شريكاً في الرجاءِ* إن كُنَّا نحنُ قد

إلى سبعين مرّة سبع مرّات

المثل الذي نقرأه في إنجيل اليوم (متى ١٨: ٢٣-٣٥) يأتي في سياق تفسير الرب يسوع لأهمية المغفرة. لقد شدّد الرب على ضرورة المغفرة، وعندما سأله بطرس الرسول: «يا رب، كم مرّة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرّات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرّات، بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات» (مت ١٨: ٢١-٢٢)، ثم أعطاهم مَثَل الملك الذي أراد أن يحاسب عبيده.

يقول الرب: «إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك» (مت ١٨: ١٥). يجب على المسيحيّ أن يعاتب أخاه عتاب المحبة، لكن الهدف من هذا العتاب ليس إظهار الحقّ والخاطئ، لأن العتب هو من المحبة والمحبة لا تطلب ما لنفسها، بل الهدف من العتاب هو أن تربح أخاك كما قال الرب. إن الأخطاء التي نرتكبها في حقّ الآخر لا تسيء إلى علاقتنا به فقط، بل إن أثرها يبقى في أعماق المخطئ ويصل إلى علاقته بالله. هكذا فالعتب هو لإزالة آثار الخطأ من المخطئ ولإعادة ترميم علاقته بالله، فيكون العتب المنبعث من المحبة عاملاً مساعداً على إيجاد الخروف الضال. لكن لكي يعطي العتب ثماره يجب على الإنسان أن يكون قد غفر لأخيه في قلبه قبل أن ينطلق ويكلّمه. وفي حال رفض المخطئ أن يعود عن خطئه، يوصي الرب أن يكون هناك شاهد أو اثنان من الأشخاص المصلحين، وإلا فيتم اللجوء إلى الكنيسة بمسؤوليها الذين قال لهم الرب: «كلّ ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكلّ ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً في السماء» (مت ١٨: ١٨).

من المتعارف عليه بين الناس أن المخطئ هو الذي يطلب الغفران، لكن هنا يطلب منا الربّ أن نكون نحن المبادرين إلى مصالحة من يخطئ إلينا. إن كنت ممن يجد صعوبةً في ذلك تذكر أن الرب هو الذي بادر ويبادر وسيبادر إلى مصالحتك رغم خطاياك الكثيرة نحوه: «لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأخلّص العالم» (يو ١٢: ٤٧). من يتذكّر كم من الخطايا

العدد ٣٤ / ٢٠١٧

الأحد ٢٠ آب

تذكار النبي صموئيل

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الحادي عشر

غفر له الرب، لا يستطيع إلا أن يبادر إلى غفران إساءات الآخرين إليه. لكن ما هو حدود هذه المغفرة؟ هذا السؤال لم يصدر عن أيّ إنسان بل عن بطرس الرسول نفسه: «هل إلى سبع مرّات؟» الرب يطلب منّا ألّا نتلهى بالعدّ، بل المهم أن نربح الأخ المخطئ بغض النظر عن عدد أخطائه: «لا أقول لك إلى سبع مرّات، بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات»، والرب علّمنا في مكان آخر: «بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم» (مت ٧: ٢). المؤمن الذي يريد تعداد خطايا غيره، سوف يعدد له الله خطاياه، لكننا نطلب من الله ألا يفعل ذلك: «إن كنتَ للآثام راصداً يا رب، يا رب فمن يثبت، لأنّ من عندك هو الاغتفار» (مز ١٣٠: ٣-٤). كم من مرّة نصلّي في اليوم الواحد: «واترك لنا ما علينا كما نترك نحن لمن لنا عليه»، فلنفتكر إن كانت كلمات صلاتنا تتماهى مع ما نحياه يومياً. ربّنا يساعدنا لكي نغفر للآخرين ولذلك أوصانا قائلاً: «صلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم» (مت ٥: ٤٤)، لذلك نلجأ إليه بالصلاة طالبين معونته هو القائل: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥). هكذا من يحيا مع الرب في حياة صلاة تسهل عليه المغفرة لأن الله صار محور حياته، بينما الذي يبقى بعيداً عنه تصعب عليه المغفرة لأن الأنا فيه كبيرة.

في المَثَل الذي نقرأه اليوم، يجيب الرب عن سؤال بطرس الرسول ليقول له ولنا من خلاله أن على المؤمن أن لا يعدّ خطايا الآخر، لأنّنا جميعاً تحت الخطيئة والله هو الملك الذي يحاسب عبيده (مت ١٨: ٢٣). في هذا المثل إنسانٌ مديون بعشرة آلاف وزنة، وهذا رقم كبير جداً ليدلّ كم هي كثيرة خطايانا أمام الرب، وليدلّ بالأكثر كم رحمة الرب أعظم وكم هو قادر على المغفرة. لقد طلب العبد من الملك أن يتمهّل عليه ليردّ له الدين، وإذا أردنا أن نحسب مدّة حياة هذا العبد لوجدنا أنها لا تكفي ليردّ دينه، أما الملك فتحنّن عليه وأطلقه وترك له الدّين. الله يسامحنا مجّاناً من دون أي مقابل، لكنّه يريد أن يجعلنا أبناء له، أي مشابهين له. مشكلة الإنسان أنّه يفرح بعطيّة الرب ولكنّه ينسى ما هو مطلوب منه، لذلك هذا العبد الذي كان مديوناً للملك بعشرة آلاف وزنة، عندما خرج من لدن الملك متخلّصاً من دينه كلّه، انقضّ كالوحش على عبدٍ رفيقه وأمسكه بعنقه طالباً منه أن يردّ له دينه الذي كان له عليه. لقد كان العبد الثاني مديوناً بمئة دينار للعبد الأوّل، والمئة دينار لا توازي وزنةً واحدةً من العشرة آلاف وزنة التي كان العبد الأوّل مديوناً بها للملك، وبالتالي لا مجال للمقارنة بين الدينَين. ورغم أن العبد الثاني استعاد نفس كلمات العبد الأول في تكرار للمشهد ذاته: «فخرَّ ذلك العبدُ على قدميه وطلب إليه قائلاً تمهَّل عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك» (مت ١٨: ٢٩)، لكن العبد الأوّل قسّى قلبه وألقى رفيقه في السجن.

العبرة من هذا المَثَل نأخذها من كلام الملك: «أيها العبد الشرير، كلّ ما كان عليك تركتُه لك لأنَّك طلبت إليَّ، أفما كان ينبغي لك أن ترحمَ أنتَ أيضاً رفيقك كما رحمتك أنا» (مت ١٨: ٣٣). على الإنسان أن يعرف أنّ الخطيئة استعبدتنا جميعاً والله هو الذي يحرّرنا، وإن كان الله قد ترك لنا كثيراً فلنفرح برحمة ربنا ولنقدّم الرحمة للآخر علّه يتعرّف من خلالنا على رحمة الرب.

زرعنا لكم الروحيَّات أفيكونُ عظيماً أن نحصُدَ منكم الجسديَّات* إن كانَ آخرونَ يشتركونَ في السُلطانِ عليكم أفلسنا نحنُ أَولى. لكنَّنا لم نستعملْ هذا السلطانَ بل نحتمِلُ كلَّ شيءٍ لئلَّا نُسبّبَ تعويقاً ما لبشارةِ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٨: ٢٣-٣٥)

قال الربُّ هذا المَثل. يُشبِه ملكوتُ السموات إنساناً مَلِكاً أراد أن يحاسِبَ عبيدَهُ* فلمَّا بدأ بالمحاسبةِ أُحضِر إليهِ واحدٌ عليهِ عشرَةُ آلافِ وزنةٍ* وإذ لم يكنْ لهُ ما يوفي أمَرَ سيّدُهُ أن يُباعَ هو وامرأتُهُ وأولادُهُ وكلُّ ما لهُ ويوفى عنهُ* فخرَّ ذلكَ العبدُ ساجداً لهُ قائلاً تمهَّلْ عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لك* فرَقَّ سيّدُ ذلك العبدِ وأطلقَهُ وترك لهُ الدَّين* وبعدما خرج ذلك العبدُ وجدَ عبداً من رُفقائِهِ مديوناً لهُ بمئَةِ دينار فأمسَكَهُ وأخذ يخنُقهُ قائلاً أوفِني ما لي عليك فخرَّ ذلك العبدُ على قدَميهِ وطلبَ إليهِ قائلًا تمهَّلْ عليَّ فأوفيكَ كلَّ ما لكَ* فأبى ومضى وطرَحه في السجنِ حتى

يـوفي الدَّيـن* فـلمَّـا رأى رُفقاؤُه ما كان حَزنوا جدًّا وجـاءوا فـأعـلَمـوا سيّدَهم بكلِّ ما كان* حينئذٍ دعاه سيّدُه وقال لهُ أيُّها العبدُ الشرّيرُ كلُّ ما كان عليك تركتُهُ لك لأنَّك طلبتَ إليَّ* أفَمـا كـان يـنـبـغـي لك أنْ تـرحَمَ أنتَ أيضـاً رفـيـقَك كما رحمْتُكَ أنا* وغضِبَ سيّـــدُهُ ودفـعـهُ إلــــى المـعـذِّبـيَن حـتــى يـوفِـيَ جميعَ ما لهُ عليهِ* فهكذا أبي السماويُّ يصنعُ بكم إنْ لم تتركوا من قـلـوبِـكم كلُّ واحدٍ لأخيهِ زلاَّتِهِ.

تـأمل

لنطلب الغفران عن كل الـزلّات والخطـايـا الـتـي ارتكـبـنـاهـا بتحريض من أحد هـــــــؤلاء الخدام المساعدين للعدو... وهكذا فـإن الـذيـن يـعـيشـون في مخافــة الـلــه ومحبـتــه، يفضّـلـون أن يـعـانـوا هـم أنـفسـهـم الآلام المبرّحــة بدلاً مـن أن يـروا قـريـبـهم يـعــانـيـهــا. كـمــا انـهـم يفضّـلـون ان يتحمّلوا هم أنفسهم اللوم بدلاً من لوم الـغير. ومـــن الأفضـل أن نـعترف عَـلـنـاً بـخـطـايـانـا بدلاً من أن تقسوَ قلوبُنا، كـمـا حدث لـلـذيـن ثـاروا عـلـى مـوسـى خـادم الـلـه الـوفي، فـكـان عـقـابُـهم رادعـاً. لأنـهم «نزلـوا أحياء

لقد رفعنا ربّنا إلى مرتبة البنوّة لله بـالتّبني بيسوع المسيح، فلنشابهه بـالرحمة لئلا نخسر أبوّته لنـا.

والـدة الإلـه في الليتورجيا

إنّ المكانة التي تحتلّها والدة الإلـه في الـلـيـتـورجيا تفوق مـكـانـة أيّ قدّيس آخـر. في مـقـدّمـة كـتـابـه «والدة الإلَــه مــريم في الــتـقـلـيد الأرثــوذكســي»، يـقـول الأسـقـف كـالـيسـتـوس ويـر: «في الـتـقـليد الأرثوذكسي والــدة الإله لها أسماء كثيرة. أيقوناتها لها عناوين مثل «الأم المـمــجَّـدة مــن الــكـلّ»، «أمّ التعزية»، «الأمّ الحنون»، «الينبوع المُحيي»، «السَّريعـة الاسـتـجـابـة»، «فـرح كلّ المحزونين»، وخصـوصـاً «أمّ الـفـرح الـذي لا يـوصَـف». هـذه التسميات تدلّ على الشعور بالدفء والـفـرح، الشعـور بـالثقة والحماية. التقوى لوالدة الإله تُغني الروحانيّة الأرثوذكسية. الإيمان بـالمسيح الذي يستـثـنـي الحبّ والـتوقير لأمّه يبدو لـلـمسيحيّ الأرثوذكسيّ باردًا وغير كـامـل. إنّــه إيمانٌ آخر، مسيـحـيّـةٌ أخـرى غير تـلـك الــتــي لـلـكـنيسـة الأرثوذكسيّة الجامعة. إذا استثنينا مريم من الحياة الروحيّة، نكون في خـطـر أن نسـتـثـنـي عـنـصـرًا مـؤثّـرًا وبديـهـيًّـا هـامّـاً لـكـلّ مـنّـا بشكلٍ حيويّ».

تكريمـــنا لأمِّ الله لـيس شـعورًا أو انجذابًا وجدانيًا أو عاطفيًّا، بل هـو ذو أسـاس ثـابتٍ في الـلاهـوت. يقول أحد اللاّهوتيين المعاصرين: «هـذه الحـمـيـمـيّـة لمريم مـع المسيح قــادت إلى شـعـبـيّـةٍ مـتزايـدةٍ في الشرق لـلـتـقـالـيد الأبـوكـريـفـيّة، أي المنـحـولــة، الـتـي دوّنت تمجيدهـا الجسديّ بـعد الموت. هـذه الـتـقـالـيد وجدت مكانًا في الشعر التسبيحي في عيد رقاد السيّدة، ولكـــنها أبدًا لم تكن موضوع تنظيرٍ لاهوتيٍّ أو تحديدٍ عـقـائديّ. تـقـلـيد «صـعـود» الـعـذراء بـالجسد عـالجه الشـعـراء والـوعّـاظ كـعـلامـةٍ أخـرويّـةٍ، كدفق مــن قـيــامــة المسيــح، كــترجٍّ لـلـقـيـامـة الـعـامّـة. هكذا فالتعابير اللّامحدودة لـتـكريم والدة الإله في الـلـيـتـورجيا البيزنطية ليست سوى إيضاح لعقيدة الاتّحـ اد الأقنومي في المســـيــــح بين الـــلاهـــوت والناسوت».

تطوّرت التقوى لوالدة الإله في الـكـنـيسـة الأرثوذكسيّة على مراحل ثلاث: الأولى قبل المجمع المسكوني الـثـالث (٤٣١ م.)، حـين حـدّدت الكنيسة أنّ مريم «هي والدة الإله»، والـثـانـيــة في الـفـترة الممـتـدّة بين المجمـعين المسـكـونـيين الـثـالث والخامس (٥٥٣ م.) حين ظهر ما يُـعـرف بـالروزنامة الكنسيَّة ونشوء الأعــيــاد الـسـيدـيَّـة ولــلـقديسين، والثالثة من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر حيث ازدهرت الأديار الـرهـبـانـيـة ومـا رافـقـهـا من تقوى وتـكـريم لـوالدة الإلـه. وبـينما كانت الـنـصـوص والأعــيــاد في المراحل الأولى ترتكز على ما ورد في الكتاب المقدّس، نــلاحــظ أنّـــه، مــع مـرور الــزمــن وتـزايد الـتـقـوى تجاه والدة الإلـه، كَثُرَ الاعتماد على النصوص الأبوكريفيّة.

إنّ الترانـيـم المتـوجّـهـة نـحـــو والدة الإلــــه كـــثيرةُ الـــعدد في الليتورجيا الأرثوذكسيّة، وهي تُرتَّل في كــــلّ المنــــاســـبـــات والخِدَم الـطـقسـيّـة. فـالصلوات اليومية كلّها تتضمّن ابتهالاتٍ لوالدة الإله، مثل صـلاة الــنـوم الــتـي يُـتـلـى فـيـهـا الإفشين لـــوالدة الإلــه: «أيّــتــهـــا السـيّـدة الـطـاهـرة...»، و«أيّـتـــهـا المجيدة المبـاركـة»، لـتـنـتـهي بنشيد

«إني أنا عبدك». إلى ذلك، في جميع القوانين التي تُرتَّل في صلوات السَّحَر والخدم الأخرى، تتوجَّه القطعة الأولى من الأودية التاسعة دائمًا إلى والدة الإله. وفي صلاة السَّحَر، غالباً ما تسبق هذه الأودية تراتيل «التعظيمات» الموجَّهة إلى العذراء.

وتظهر المكانة الرفيعة لمريم في التدبير الخلاصي بوضوح في الخدمة الإفخارستيّة، أي القدّاس الإلهي. فأثناء التقدمة، يضع الكاهن على الصينيّة، إلى يمين الحمل، قطعةً من القربان بشكل مثلَّث تمثّل والدة الإله ويقول: «قامت الملكة عن يمينك موشّحةً ومزيَّنةً بثوبٍ مُذهّب». ثمّ خلال القدّاس، تستدعي التراتيل شفاعة والدة الإله: «بشفاعات والدة الإله يا مخلّص خلّصنا»، ونأتي على ذكرها أيضًا في الطلبتين الكبرى والصغرى «بعد ذكرنا الكليَّة القداسة...». وبعد الاستحالة، ترتّل الجوقة ترتيلةً خاصّةً بوالدة الإله: «بواجب الاستئهال حقًّا نغبّطك...». أمّا في قدّاس القدّيس باسيليوس الكبير، فيُرتَّل بدلاً منها نشيد القدّيس يوحنا الدمشقي الشهير: «إن البرايا بأسرها...».

في القديم وأثناء إلباس رئيس الكهنة خارج الهيكل في القداديس الاحتفاليّة كانت تُرتّل ترنيمة للعذراء، الأمر الذي لم يَعُد يُمارس اليوم كثيرًا. تتكلّم هذه الترنيمة حول ما سبق أن أخبر به أنبياء العهد القديم عن والدة الإله: «أيتها الفتاة، إنّ الأنبياء قد سبقوا وأخبروا عنك، أنّك الجرّة والعصا والصخرة والمائدة والمنارة والتابوت، الجسر والسلّم، الجرّة والعصا والصخرة والمائدة، والمنارة والتابوت. الجبل غير المقتطع منه، والمبخرة الذهبية. البلاط وعرش الملك. أيّتها الفتاة إنّ الأنبياء قد سبقوا وأخبروا عنك، أنّك الجرّة الذهبية الحاملة المنّ. هكذا سبق وأخبر عنك الأنبياء الملهَمون أيّتها الفتاة».

وأكثر ما تتجلّى مكانة العذراء في صلاة البراكليسي (الابتهال أو التضرّع)، وصلاة المديح الموجَّهة إليها بشكلٍ خاصّ. صلاة المديح تستعرض بطريقةٍ شعريّةٍ معجزة كلّ تاريخ الخلاص، من آدم حتى نهاية العالم. إنّها تستعرض، بآنٍ واحدٍ، مأساة العالم ومحبّة الله غير المدرَكة التي تظهر في التجسّد الإلهي. هذا التجسّد الذي خدمته العذراء، فأعطَتْ ناسوتًا (جسداً) لابن الله الذي اتّخذَ هذه الطبيعة وألّهها، ما مكّننا، رغم ضعفنا، أن نشارك في إنسانيّة يسوع المسيح المتألّهة التي أخذها من العذراء. تظهر العذراء كأوّل وجهٍ إنسانيٍّ تألّهَ، وأعطى في ذاته مثال القداسة القصوى الممكنة للشخص البشريّ، ولهذا ندعوها «الفائقة القداسة». هي تحتضن بحنانها الأموميّ كلّ مؤمنٍ، وتدعمه في جهاده الشخصيّ، ليكون مشاركاً لها في هذه القداسة، التي ليست سوى حياة الكنيسة. نحن نحقّق القداسة بقوّة الله وصلوات العذراء.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

في الجحيم» (عدد ١٦: ٣٣). الموت هو الذي كان راعيهم. فرعون وجيشه، وجميع عظماء مصر، قد ابتلعهم البحر الأحمر بمركباتهم وفرسانهم، ولقوا حتفهم لا لسبب إلاّ لأنهم قسّوا قلوبهم بعد كل المعجزات والعجائب التي صنعها موسى خادم الله.

ان خالق الكون ليس في حاجة إلى شيء، يا إخوة، ولا يطالب أحداً بشيء آخر غير الاعتراف بخطاياه. إذ يقول صفيّه: «اعترف للرب بآثامي، فيطيب ذلك على ثور ذي قرون واظلاف ويرى البائسون فيفرحون» (مز ٦٨: ٣١-٣٣). ويقول كذلك: «اذبح للرب ذبيحة الحمد وأوفِ العليّ نذورك وأودعني يوم الضيق وأنا أنجّيك فتمجّدني» (مز ٤٩: ١٤-١٥)، «فالذبيحة لله روح منسحق» (مز ٥٠: ١٩).

أنتم تعرفون الكتب المقدّسة جيّداً، أيها الأحباء، وقد تأملتم طويلًا في أقوال الرب، وعليه فنحن لا نكتب إليكم هذا إلاّ للتذكير.

القديس إقليموس الرومي